العلاقة مع العلويين

القرامطة

توجهت الدعوة الإسماعيلية إلى كافة طبقات المجتمع ، لكن التجاوب كان متفاوتاً ، في حين وجد الفرس فيها أسلوباً للتعبير عن كراهيتهم للعرب ، وهكذا أضحت الدعوة الإسماعيلية حركة ثورية كبيرة تضم اتجاهات مختلفة لعل أبرزها:

- الاتجاه الاجتماعي لإقامة العدالة الاجتماعية .

- الاتجاه الشيعي الذي شكلت المبادىء الشيعية هدفه الأسمى.

- الاتجاه العنصري الفارسي الذي أدرك مناصروه أهمية تحقيق المبادىء المزدكية.

لكن جمعت هذه الاتجاهات غاية واحدة هي حلم الخلافة . وقد نتج عن اختلاف الأهداف استحالة اندماج الميول المتعددة بشكل كامل. وهذا يفسر السبب في تطور مراحل هذه الدعوة التي اتخذت طابعاً مختلفاً أو حتى متناقضاً . فقد نشأت عن المذهب الإسماعيلى قوتان كبيرتان هددتا دولة الخلافة العباسية ؛ إحداهما الحركة القرمطية التي ضايقت العباسيين فعلاً ، وهددتهم في عقر دارهم ، والأخرى هي الدولة العبيدية التي انطلقت من سلمية و قامت في بلاد المغرب .

ظهرت الحركة القرمطية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وهي استمرار للدعوة الإسماعيلية رغم الأطوار العصيبة التي مرت بها العلاقة بين الحركة الام الإسماعيلية والحركة الناشئة (القرمطية) ووصولها إلى حد المواجهة المسلحة . ولدي العودة إلى المصادر الإسماعيلية ، نراها تنظر إلى القرامطة نظرة فئة تمردت على قيادتها وانشقت عنها .

نشأت الحركة في سواد العراق في عام (261 هـ/ 875 م) في عهد الخليفة المعتمد ثم انتقلت إلى بلاد الشام والبحرين واليمن ، وذلك في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية هي نفسها التي قامت في ظلها حركة الزنج، والراجح أن الاتجاه الاجتماعي - الاقتصادي قد غلب على اتجاهها الديني بالرغم من أن دعاتها كانوا متطرفين في آرائهم الدينية المتعلقة بالشريعة الإسلامية .

ويعتبر حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط ، وهو من أهل الكوفة أحد دعاة القرامطة الأوائل. وقامت دعوته في أعقاب القضاء على حركة الزنج . واتجهت إلى اولئك الذين نجوا في المناطق التي عمّت فيها الحركة المذكورة، فصادفت رواجا كبيرا في صفوف الأعراب الذين يتوقون للغنائم وفلاحي السواد والطبقات الفقيرة، وشمي أتباعه بـ «القرامطة» نسبة إليه .

ثم حدث أن خبت الحركة في العراق بفعل الاختلاف الذي حصل بين قيادتها والقيادة الإسماعيلية، وآلت قيادتها إلى زكرويه بن مهرويه الفارسي وهو أحد تلاميذ حمدان ، الذي نقل نشاطه إلى بلاد الشام ، وامتد إلى بادية السماوة .

وأخذ ابناه ، يحيى بن زكرويه الملقب بصاحب الناقة ، وحسين بن زكرويه الملقب بني الشامة أو صاحب الخال، على التوالي، مهمة نشرها، وتلقب كل منها بأمير المؤمنين ، فهاجما المدن والقرى، وأثارا القلق والهلع في بلاد الشام ، قبل أن تقضي الدولة عليهما في عامي (290 و 291 هـ/903 - 904 م).

وقام زكرويه لينتقم لمقتل ابنيه ، لكنه قتل في عام (294 هـ/907 م) . وانتهى بمقتله أمر القرامطة في بلاد الشام.

وتقترن الحركة القرمطية في البحرين باسم أبي سعيد الجنابي الفارسي وابنه أبي طاهر، وقد بسط الأول هيمنة فعلية على هجر والأحساء والقطيف وسائر البحرين، وأنشأ دولة مستقلة عاصمتها المؤمنية، وقتل في عام (301 هـ/ 914 م). فتسلم ابنه أبو طاهر سليمان رئاسة الدعوة وتابع سياسة العنف بأساليب بالغة الخطورة. فعانت البصرة والكوفة من غاراته الوحشية. كما أغار على قوافل الحجاج، وهاجم مكة في عام (317 هـ/ 929 م)، فنهب أموال الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام واقتلع الحجر الأسود من الكعبة ، واحتجزه في هجر لعدة أعوام مع ما يمثل ذلك من تحد كبير لشعور المسلمين. وقد ندّد خصومه من أهل السنة ، وحلفاؤه من الإسماعيليين والعبيديين بأعماله.

ويبدو أن هناك عاملين دفعا بالقرامطة إلى انتهاج هذا المنحى الديني والاقتصادي. فمن الناحية الدينية حاول القيمون على الحركة باعتبارهم يمثلون فرقة باطنية غالية، إيجاد عقيدة جديدة توفق بين الإسلام والعقائد القديمة. فهم لم يعترفوا بالإسلام كدين، رغم تظاهرهم بذلك، بل أدخلوا عليه عقائد الحلول والتناسخ وقدسية الأئمة .

أما من الناحية الاقتصادية ، فيبدو أن القرامطة أرادوا إيقاف الحج ومهاجمة القوافل التجارية نظراً للمنافع المادية الناتجة عنه . كما أن هجماتهم التي نفذوها على البصرة كانت تهدف إلى بث الفوضى وعدم الاستقرار فيها لتحويل تجارتها إلى مواني‌ء الخليج التي يسيطرون عليها بعد أن رفض الخليفة طلبا لأبي طاهر أن يتنازل عن الاهواز والبصرة ، بالإضافة إلى الهيمنة على تجارة الهند البحرية وصناعة خوزستان .

ومهما يكن من أمر فقد فقدت الحركة القرمطية في البحرين تماسكها بعد وفاة أبي طاهر في عام (332 هـ/ 942 م)، بفعل الصراع على الزعامة ، بالرغم من أن الدولة القرمطية استمرت حتى عام (469 هـ/ 1076 م) وسط تيارات معادية أوجدها تعصبهم الديني المتطرف .

قيام الدولة العبيدية الفاطمية

ارسل الحسين ابن حوشب ، داعي الإسماعيليين في اليمن، أبا عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب في عام (288 هـ 901 م). لنشر الدعوة في هذه البلاد، بعد وفاة داعيي الإسماعيلية فيها وهما الحلواني وأبو سفيان، ونجح أبو عبد الله هذا في استقطاب جماعة من حجاج كتامة وصحبهم إلى بلاد المغرب حيث بث دعوته بين الناس، وقوي أمره بما التف حوله من الأتباع واستولى على القيروان في عام (296هـ/ 909م) وأزال دولة الأغالبة .

ثم أرسل إلى عبيد الله المهدي في سلمية يدعوه للحضور إلى إفريقية لتسلم الأمر . رحب عبيد الله بالدعوة، فترك سلمية وتوجه إلى المغرب، فوصل إليها في عام (297 هـ/910 م) حيث بويع له بالخلافة ، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين واضعا بذلك الأساس الذي قامت عليه دولة الخلافة العبيدية .